

التربية الأسرية وتداعيات العولمة الثقافية

Family education and the repercussions of cultural globalisation

د.حاج زيان وهيبة*

جامعة لوئيسي علي البلدية 2، الجزائر

wahibaziane5@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/12/20 تاريخ القبول: 2023/03/04 تاريخ النشر: 2023/05/12

Abstract:

الملخص:

This study seeks to address this controversy between an educational institution (family) responsible for inheriting values and a global system that in turn seeks to impose its control by all means, by controlling the concept of globalisation and its impact on the family.

Through this research, it was found that that globalisation has affected different institutions of socialisation, especially family coordination in its deep roles, however, these effects can be more dangerous when it's related to the change that affected principles, and that's what makes a big change in the terms of the relation between generations generally, and the relation between family members specifically, therefore, globalisation has surpassed, traditional educational patterns in terms of the functional performance of families, thus there is an urgent need to reconsider what is known as family and educational skills.

Keywords: globalisation, education, culture, family, effects

تسعى هذه الدراسة إلى معالجة الجدلية القائمة بين مؤسسة تربوية (الأسرة) مسؤولة على تربية الأبناء وتوريث القيم وبين نظام عالمي، يسعى بدوره إلى فرض سيطرته بكل السبل وذلك من خلال ضبط مفهوم العولمة وتأثيرها على التربية الأسرية.

تبين من خلال هذا البحث أن العولمة مست مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية، وخاصة النسق الأسري في عمق أدواره، غير أن آثارها أشد خطورة خاصة إذا تعلق الأمر بمسألة التغيير الذي مس المرجعيات، وهو ما يمثل تحولا جوهريا على مستوى علاقة الأجيال عامة وعلاقة الأبناء بالوالدين تحديدا. لقد تجاوزت العولمة الأنماط التربوية التقليدية من حيث الأداء الوظيفي للأسر، وبالتالي تبرز الحاجة إلى إعادة النظر في ما يعرف بالمهارات الأسرية والتربوية.

الكلمات المفتاحية: عولمة، تربية، ثقافة، أسرة، تأثيرات.

* المؤلف المرسل

1- مقدمة

تعيش المجتمعات المعاصرة ظاهرة جديدة وحركية لم تشهدها من قبل، حظيت باهتمام كبير في الأوساط الفكرية وثار حولها -ولا يزال- جدل واسع، فاختلقت حيالها الآراء وكثرت التعريفات والمفاهيم إنها "العولمة" تلك الحركة القوية التي تذهب عميقا في جميع الاتجاهات نحو إقامة نظام دولي يتجه نحو التوحيد في القواعد والقيم والأهداف مع ادعاء إدماج مجموع الإنسانية في إطاره.

إن العولمة هي ديناميكية جديدة، تبرز داخل العلاقات الدولية من خلال تحقيق درجة عالية من الكثافة والسرعة في عملية انتشار المعلومات والمكتسبات التقنية والعملية للحضارة، كما أكد أنها تعني الدخول بسبب تطور الثروة المعلوماتية والتقنية والاقتصادية معا- في طور من التطور الحضاري ليصبح فيه مصير الإنسانية موحدا ويعني هنا التجانس، ذلك التفاعل بين مناطق ومجتمعات بشرية مختلفة ومتباينة وبالتالي تزداد درجة التأثير والتأثر المتبادلين(برهان غليون، 1999).

على هذا الأساس، فإنه من المؤكد أن آثار العولمة طالت مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية وعلى رأسها الأسرة بفعل التطور المذهل لتكنولوجيات المعلومات، التي اقتحمت البيوت دون استئذان وأصبحت حاجة ملحة وذات أهمية كبيرة في حياة البشرية، مع كل ما تحمله من مستجدات وإعادة النظر في الكثير من المعطيات، خاصة منها ما يتعلق بالجوانب الأخلاقية والتربوية.

فالتربية سواء بصفتها متغيرا تابعا للتحول المجتمعي، أو محركا أوليا لهذا التحول هي بحكم دورها وطبيعتها أكثر جوانب المجتمع عرضة للتغير، بناء على ذلك فإن المتغيرات الجديدة التي يركز عليها عصر المعلومات، ستحدث بالضرورة هزات عنيفة في منظومة التربية : فلسفتها سياستها، مناهجها وأساليبها.

ولعلنا في هذا المضمار، نتساءل عن الدور المنتظر من الأسرة في ظل هذه التغيرات؟ وعن مختلف الإجراءات العملية التي يتبناها الأولياء والمربون عموما في مواجهة تحديات ومستلزمات العولمة وكيفية التعامل مع مشروع الإنسان الكوني "المعولم" في زحمة الضغوط التي تتوالى من أجل فرض أسس ثقافية نمطية؟.

باختصار: كيف يجب أن تكون تربية الأبناء وتنشئتهم تنشئة قائمة على أساس هويتنا الأصيلة في ظل العولمة وما تفرضه من مستجدات قد تتعارض مع هذه الهوية ؟ ما هي ملامح التربية التي نأملها للتكيف وبطريقة ايجابية مع ما يطلبه هذا العصر في مواجهة تحديات العولمة وقيودها؟ وكيف يمكن ترجمة هذه الرؤية المستقبلية إلى أدوات عمل وبرامج يستعين بها القائمون على التربية في الوطن العربي؟.

سنعمل، في هذا السياق على تحليل بعض تأثيرات العولمة، وخاصة منها العولمة الثقافية على المساقات التربوية والأدوار الأسرية من حيث أدائها الوظيفي.

2- العولمة، مفهومها، أهدافها ومظاهرها

بما أننا نسعى إلى تحليل الكيفية التي بفضلها تقوم الأسرة بأدوارها التربوية في سياق العولمة والتغيرات التي يشهدها العالم، فإننا ارتأينا أنه من المفيد ضبط مفهوم العولمة لتوضيحه بهدف فهم التأثيرات التي تمس الجوانب التربوية والوظيفية للنسق الأسري.

2-1- مفهوم العولمة:

- لغة: "العولمة من الناحية اللغوية هي مصدر الفعل "عولم" وهو ما يعبر عن انتقال المعلومات والسلع ورؤوس الأموال والتكنولوجيا ومختلف المنتجات الإعلامية والثقافية بحرية تامة بين المجتمعات الإنسانية" (سمر ربابعة، 2018، ص 410) أي هي تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله وهي تهدف إلى جعل العالم ذا توجه واحد مسيطر عليه تقنيا وثقافيا في إطار حضارة واحدة ولا تقتصر العولمة على ما ذكر سابقا فقط بل تتعداه أيضا إلى تنقل البشر ذاتهم وكأن العالم أصبح قرية صغيرة.

- اصطلاحا: تُعبر العولمة على التقدم الهائل في المعلوماتية (تكنولوجيا المعلومات) حيث اعتبر "توملينسن" (Tomlinson) "أن العولمة تشير إلى الفعاليات المضطربة التي تخص الاتصالات الاندماجية المعقدة بين المجتمعات والثقافات والمؤسسات والأفراد على النطاق العالمي، فالعولمة هي الحركة الاجتماعية التي تتضمن انكماش البعدين الزمي والمكاني" (Tomlinson, 1991, p23). لذلك أوضح "غيدنس" (Giddens) "أن العولمة تشير إلى السيرورات التي تعمل على مستوى عالمي وتخترق الحدود القومية بدمج وربط الجماعات والتنظيمات في توليفة جديدة لتنظيم الحياة الاجتماعية عبر الزمن والفضاء" (Giddens, 1990).

والعولمة هي حالة حضارية جديدة تمثل ما اتفق عليه المفكرون فيما يعرف بعالم " ما بعد الحداثة " أو "ما بعد عصر الصناعة"، إنها حضارة جعل " العالم واحدا " من خلال تهاوي حدود الزمان والمكان، وإلغاء الحدود والحواجز خاصة منها كسر الحواجز الثقافية، من خلال القنوات الفضائية التي تجعل العالم حاضرا أمام ناظري المشاهد... (مصطفى حجازي، 2010، ص 177).

معنى ذلك أن العولمة لا تعترف بالحدود الفضائية المكانية ولا بالحدود الزمانية لأنها تختصر كليهما في ثنائية تجعل من الكون فلكا موحدا، يجمع كل البلدان والأجناس وفق آليات تعامل تكاد تكون شاملة وقوالب مشتركة، وهنا يفتح المجال للنقاش بخصوص إيجابيات وسلبيات العولمة تتحدد من خلال اتجاهين اثنين (سمر ربابعة، 2018، ص 411):

الاتجاه الأول: يرى العولمة أنها ظاهرة طبيعية، مرتبطة بموازين القوى وقوة الاقتصاد والتقدم التكنولوجي والتقني وإنها تتضمن توجيهات استعمارية، كما أنها نتاج عصور ساهمت فيها الكثير من المجتمعات.

الاتجاه الثاني: يرى أن العولمة استعمار جديد، يقوم على الهيمنة الثقافية والاقتصادية وتنويع الثقافات المحلية للشعوب جميعها في ثقافة واحدة وإلغاء الفروق الدينية والقومية من أجل الهيمنة الكاملة.

- مفهوم العولمة الثقافية

العولمة الثقافية هي أصل العولمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية، لأن الثقافة هي التي تهئ الأذهان والنفوس لقبول تلك الأنواع الأخرى، وتجعل الناس مستعدين للانضمام إلى الأنظمة والمؤسسات والاتفاقيات الدولية، إذ تعتبر الثقافة عنصرا أساسيا في حياة كل

فرد وكل مجتمع وكل أمة، وهي تشمل التقاليد والمعتقدات والقيم وأنماط الحياة المختلفة والفنون والآداب وحقوق (محمد عابد الجابري، 1998، ص 297) إنها الهوية المعبرة عن الشعور بالانتماء لدى أفراد المجتمع التي تشعر أصحابها بخصوصيتهم ورصيدهم المختزن من الخبرات المعرفية والأنماط السلوكية.

وللعولمة الثقافية وسائلها ومضامينها فوسائلها هي هذه الآلات والأدوات والأجهزة التكنولوجية والالكترونية، أما مضامينها ومحتواها فهي هذه البرامج الفكرية والتصورات الأدبية والفنية والمذاهب والنظريات النقدية والآراء العقائدية (الإيديولوجية) ووجهات النظر السياسية ونمط الحياة والتقاليد الاجتماعية في الملابس والمأكول والمشرب والبرامج التمثيلية والغنائية والموسيقية وما شابه ذلك (سامية قطوش، 2017، ص 50).

2-2- أهداف العولمة

مما لا شك فيه، أن الإعلام الجديد – من شبكات التواصل المتنوعة- ساهم إلى حد كبير في التبادل العلمي والثقافي ومختلف أنواع الاحتكاك، لدرجة مكن الإنسان من نسج علاقات ومعارف ومكتسبات متنوعة، إلا أن هذا الجانب المضيء، يخفي بين طياته تهديدات بالنسبة للشعوب التي لم تنتج هذه التقنيات والتي تستهلكها ألياً بدون أن تكون مساهمة في صناعتها ولا في توظيفها والخطر كله يكمن في أنها غالباً لا تحسن التصدي لمثل هذه التهديدات التي تمثل بؤر للفناء خاصة منها ما تعلق بالجوانب الثقافية والروحية.

تحاول العولمة قولبة الكون وتنميط السلوكيات والقيم والأذهان، ضمن مشروع إعلامي ثقافي يهدف في أساسه لخدمة هيمنة القوى السياسية الكبرى المتحكمة في العولمة وخدمة أسواق المال والاستهلاك، إنها تهدف باختصار لصياغة أيديولوجية للحضارة الغربية، من فكر وثقافة واقتصاد وسياسة للسيطرة على العالم أجمع باستخدام الوسائل الإعلامية والشركات الرأسمالية الكبرى لتطبيق هذه الحضارة وتعميمها على العالم (مصطفى حجازي، 2015، ص 59).

ولا تكنفي العولمة بتدوين ثقافة ما، بل تعمل على تغيير مفاهيم الأفراد والمجتمعات من خلال ما تنبئه من قيم اجتماعية وأخلاقية، فهي نقلة نوعية من المفاهيم والأفكار وانفتاحاً على الثقافات الأخرى، محاولة منها طمس الثقافات العربية، وبالتالي تغريب الإنسان وعزله عن قضاياها وهوميه والتشكيك في جميع قناعاته الثقافية.

2-3- مظاهر العولمة

لا نحتاج إلى بذل الجهد الكبير لمعرفة أن العولمة هي الظاهرة الأكثر تأثيراً في حياتنا اليومية فهي في البيت والمدرسة والشارع، وتكاد تكون في أدق تفاصيل حياتنا اليومية حيث ساهمت الوسائط التكنولوجية في خلق نمط جديد من العلاقات، يقوم على ربط علاقات مع أشخاص بعيدين جغرافياً يحملون قيماً وعادات مختلفة وأحياناً متناقضة تماماً مع ما يحمل الشخص الآخر، في الوقت ذاته يعمل هذا الشخص على تخفيض درجة التألف في العلاقات الأسرية بصورة يمكن وصفها بأن القريب جسدياً بعيد نفسياً وفكرياً، والبعيد جسدياً قريب روحياً وسلوكياً، لقد خلقت التكنولوجيا كثير من الأسر تفتقد إلى العاطفة والروح.

لقد أصبحت الكثير من البيوت أشبه بفنادق للإيواء في أوقات الراحة فقط فهي جميلة بمناظرها وأشكالها وحدائقها وتوفر الخدمات فيها، لكن سكانها لا يرون بعضهم بعضاً إلا قليلاً حتى على وجبات الطعام أصبح لكل واحد منهم موعده، لقد أصبح الفرد يعيش في عالمه الخاص به

يكفيه هاتفه النقال وربطه بشبكة الانترنت، لقد أصبحت هذه الوسائل المؤثر والمرجع الأول لمعلوماتهم وأخلاقهم وسلوكياتهم، وجعل الكثير منهم أسرى في غرف نومهم الخاصة في كل الأوقات فلا يكاد يرون آباءهم وإخوانهم، بل هم غارقون لساعات طويلة مع الأصدقاء بل ومع مجهولون في عالم افتراضي (هذا هو حال الكثير من الأسر في مجتمعنا الجزائري). لقد أصبح كل فرد من أفراد الأسرة يستخدم هذه التقنيات كما يحلو له دون رقيب أو حسيب .

3- الأسرة والتربية في ظل العولمة

3-1- مفهوم الأسرة

رغم مظاهر العولمة التي غزت الكثير من البيوت، إلا أن الأسرة تبقى النواة الأساسية التي يتكون منها المجتمع، فإذا صلحت صلح المجتمع وإذا فسدت فسد المجتمع كله، وهي الحصن الذي يتربى ويترعرع في كنفه الأبناء، الذين هم رجال الغد وحملته الراية وعدة المستقبل وعتاده والذين تقول إليهم لا محالة المسؤولية الاجتماعية والسياسية والأسرية في حراسة المكاسب التي حققتها إرادة الشعب ونضاله وتقدمه ورقيه وتراثه الحضاري.

يعرف زياد حمدان الأسرة بأنها "مجموعة من الأفراد المتكافلين والمتكافئين معا والذين يقيمون في بيئة سكنية خاصة بهم، وتربطهم معا علاقات بيولوجية ونفسية وعاطفية واجتماعية واقتصادية وشرعية قانونية" (زياد حمدان، د ت، ص 29).

والأسرة هي أيضا المؤسسة التربوية الأولى التي يتلقى فيها الفرد تنشئته الاجتماعية التي تحوله من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي ثقافي، حيث تتحدد فيها شخصيته وهويته التي تبقى معه طوال حياته والتي يتلقاها في مرحلته الأولى أو المبكرة من وجوده، وفي مرحلة ثانية من حياته يجد في الأسرة الحماية والرعاية والتأديب وتقويم السلوك، وفي مرحلة ثالثة من حياته تساعد على الاندماج في المجتمع بمساعدته على اكتساب مهارات وفنون وعلوم ومهن من أجل الاندماج في المجتمع الأكبر والاستعداد للاستقلال عنها.

والأسرة أيضا هي مؤسسة وسيطة بين الفرد والجماعة، ذات وظيفة تكوينية وتلقينية تستعين في ذلك بمكنيزات الضبط والإدماج والضغط في تمرير وفرض قيم الجماعة، من حيث أن تلك القيم "كفيات وجودية" ووضعية سلوكية مثالية فكل سلوك اقترن بها وتبناه المجتمع يكون مرغوبا فيه وموضوعا للتقدير والاستحسان، أما إذا حدث العكس وتبنى قيما أخرى فيكون شاذا ومنبوذا ومستهجنا، وبناء عليه تعمل الأسرة على إعادة إنتاج القيم والمعايير الثقافية والأخلاقية الايجابية والناجعة والمثل العليا، مثلما تعيد بناء وضعية نفس الجماعة التي تنتمي إليها، إنها تعيد إنتاج المدينة أو القبيلة بنفس القيم والتمثلات والمعايير التي ورثتها (الهادي الهروي، 2013، ص 21)

بهذا تكون المقومات التي يعمل الوالدان على غرسها في الأبناء من خلال التنشئة الاجتماعية المستمرة في الأسرة هي نموذج الشخصية التي تتشكل لديهم، بكل ما تحمله من خصائص نفسية واجتماعية وأخلاقية ودينية تنصب في مبادئ تربوية معينة وفقا للتصور أو المفهوم الذي تحمله الأسرة عن موضوع التربية، فهي مؤسسة أساسية ثقافية تختلف من مجتمع إلى آخر والعلاقات بين أفراد الجماعة الأسرية ليست مستقرة لكن تتغير في الزمان والمكان.

لذلك فان استقرار الأسرة وصحتها النفسية مرتبطة بسلامة أبنائها، حيث يتفق علماء النفس على أهميتها من خلال ما تقدمه لهم على النحو التالي:

- الأسرة تؤثر على النمو (السوي وغير السوي) للطفل وتؤثر في تكوين شخصيته وظيفيا وديناميكيا من خلال تأثيراتها على مختلف مظاهر نموه (نموه الجسمي ونموه العقلي ونموه الانفعالي والاجتماعي)؛

- الأسرة السعيدة تعتبر بيئة نفسية صحية للنمو وتؤدي إلى سعادة وسلامة صحته النفسية؛

- الأسرة المضطربة تعتبر بيئة نفسية سيئة للنمو، فهي تكون بمثابة مرتع خصب للانحرافات السلوكية والاضطرابات النفسية والاجتماعية؛

- الخبرات الأسرية التي يتعرض لها الطفل في السنوات الأولى من عمره تؤثر تأثيرا هاما في نموه النفسي.

نلمس من خلال ما تقدم بوضوح الأدوار والوظائف التربوية المهمة التي تقوم بها الأسرة، من أجل تحقيق رفاهية أبنائها وحمايتهم من كل التهديدات التي قد تمس سلامتهم سواء منها خارجية المصدر أو داخلية.

2-3- مفهوم التربية

لمفهوم التربية تعاريف كثيرة ومتنوعة، تختلف باختلاف الأسس التي تستند إليها والغايات والأهداف التي تصبو لتحقيقها، والمؤسسات والوسائل والطرق التي توظفها لبلوغ هذه الأهداف والغايات، من بين هذه التعاريف نشير إلى ما حدده دور كايم في تعريفه للتربية بأنها "عملية تهذيب أو ترويض لطبيعة الإنسان الحيوانية وإثارة الطبيعة الاجتماعية الكامنة فيه لتحل محلها، وهي بذلك تكيف الأفراد مع ظروف المجتمع والبيئة الاجتماعية التي يعيشون فيها" (فادية عمر الجولاني 1997، ص21). ووفقا لذلك فهو يرى أن " التربية لا تسعى إلى تحقيق الإنسان على ما حددته الطبيعة، بل الإنسان على غرار ما يريده المجتمع"، فالتربية إذن حسب "دوركايم" عملية هادفة تسعى إلى تحقيق وصنع الشخص الذي ينسجم مع المجتمع اجتماعيا وثقافيا بتغليب استعداداته الاجتماعية وفطرته التي فطر عليها، بعد تخليصه من الغرائز الطبيعية بل تهذيبها وفق ما يطلبه المجتمع والثقافة والشخص الذي يحتاج إليه، أي إكسابه المهارات المطلوبة اجتماعيا عن طريق التعليم والتدريب وتنمية الشخصية (محمد بومخلوف وآخرون، 2008، ص21)، والتربية أيضا هي ذلك " التأثير الذي تمارسه الأجيال على بعضها، فالجيل الأكبر سنا يمارس بالتربية تأثيرا على الجيل الأصغر سنا، والتي لم تكن مؤهلة بعد للحياة الاجتماعية، وهذا يعني أن التربية تؤهل أجيال المجتمع للحياة التي تقرأها ظروف المجتمع وأوضاعه" (محمد عاطف غيث، 1989، ص152). ويقابل مفهوم التربية عدة مفاهيم منها: التدريب، التنشئة، الثقافة والبيئة القائمة، وهو ما يعني أنها عملية معقدة تشمل عمليات التدريب وإكساب المهارات المختلفة والتنشئة الاجتماعية بمختلف مؤسساتها والثقافة السائدة المستمدة منها مبادئ التنشئة من قيم وتقاليد ومثل عليا والبيئة القائمة في محيط الأفراد بكافة عناصرها والتي تصنع المجال الذي يترعرعون فيه ويتلقون منه العناصر التربوية بصورة تلقائية.

3-3- التربية الأسرية

استنادا إلى التعاريف السابقة، يتبين أن التربية الأسرية هي مجموع الممارسات والنشاطات الواعية الموجهة للأبناء، والتي تهدف من خلالها الأسرة إلى تنمية شخصية الطفل نموا متكاملا سويا أي تلك العناية والرعاية التي توليها الأسرة للأطفال، والمتمثلة في السهر على المتابعة والمراقبة لدروسهم واستخدامهم لوسائل التواصل الاجتماعي ورفاقهم وممارساتهم وعلاقاتهم

الداخلية والخارجية وضبط سلوكهم، والحرص على معرفة ما يجري في محيطهم وتعريفهم أيضا بمخاطره وإيجابياته وتكثيف التفاعل معهم وغيرها من الأنشطة والممارسات الهادفة والواعية.

لكن الملاحظ تأثر الأسرة العربية بعملية التغير الاجتماعي، خاصة على مستوى التعامل مع أبنائها، فطبيعة التغير الاجتماعي الذي يعيشه مجتمعنا العربي هو عملية تطوير مستمر عميق الجذور واسع النطاق، مس الأسرة العربية في وظائفها والمراكز الاجتماعية وكذا في استقرارها وتربيتها لأبنائها (مصطفى الخشاب، 1971). كما أن الآباء في السابق ولمئات السنين، كانوا يتبنون طريقة آباءهم في تنشئة أولادهم ورعايتهم فيأخذون ما سار عليه آباؤهم من تقنيات في رعاية الأطفال التي طبقوها عليهم، ليقوموا هم بدورهم في تطبيقها على أبنائهم، وجيلا بعد جيل أصبحت تلك عادات موروثة وتقاليده لا يجوز نقضها فلها حرمتها ولها احترامها... غير أن هذا الاتجاه في تربية الأبناء في عصرنا الراهن أخذ يخفي ويضمحل أكثر مما ينمو ويزدهر، فالكثيرون منا أخذ يعترية اليأس والإحباط في تربية أبنائهم، بسبب ما أصابه من فشل في ذلك وبشكل لا نعرف له سببا ففاره كثيرا ما يعلن ويقول: لقد نجح أبي في تربيتنا على هذا النهج والأسلوب ولكنني فشلت حين اتبعت أثره في ذلك وسرت على نهجه دون أن أدري سببا لقد نجح أبي وفشلت أنا فما السبب (نصر التهامي، 2011 ص120).

السبب هو أن مشكلة التربية والتنشئة الاجتماعية في هذا العصر أصبحت تبدو أكثر صعوبة وأشد تعقيدا خاصة وأن المؤسسات الإعلامية ووسائل التكنولوجيا الحديثة، تنازع المؤسسات التقليدية للتنشئة - خاصة الأسرة - وتؤثر تأثيرا مباشرا في غرس قيم وتنمية اتجاهات لا تمت بصلة بموروثنا الثقافي والحضاري، ومن البديهي أن تنشأ لدى الطفل دوافع نفسية متناقضة بين ما يتلقاه عبر الثقافة الإلكترونية، وبين ما يعيشه في واقعه اليومي في البيت والمحيط الاجتماعي، مما يؤدي إلى شعوره بحالة نفسية معقدة نتيجة لوجود مجموعة قيم متنافرة ومتناقضة.

من المؤكد أنه عندما يتغير المجتمع بسرعة - كما هو الشأن حاليا - فإن العلاقة الطبيعية بين جيل الآباء وجيل الأبناء تتغير لا محالة، فالآباء الذين تشربوا قيم الماضي يصبحون من نمط "قديم" بينما الأبناء الذين ينشؤون تحت ظروف جديدة يكتسبون أفكارا جديدة، فمن هذه الزاوية تكون الأسرة ملزمة أن تستوعب هذه الفروق وتتعامل بحكمة معها، حتى لا تحدث تصادما في أداء مهامها وحتى لا تنسحب وتستقيل من أداء مهامها بحكم عدم انسجامها مع مختلف التطورات الحاصلة.

إن الثقافة العربية ليست بمعزل عن سياق العولمة... لكن المشكلة أن الحداثة والعولمة وما بعد الحداثة نشأت جميعها في غير البيئة العربية ولا من الفكر العربي أي ظهرت عند الغرب، حيث استفاد علماءهم من التراث العربي الإسلامي في حداثته، إلا أن ما أنتجوه يباعد بيننا وبين مجتمعاتهم بآزمنة وأشواط طويلة، رغم هذا وفي زمن العولمة وقيود ما بعد الحداثة يعمل الغرب على تنميط المجتمعات العربية تحت أساليب وحجج وذرائع وهمية يراد منها تحسين واقعهم المعيشي والانتقال بهم من التخلف إلى التحضر، تحت شعارات الحرية والتحرر والاختلاط والإباحية المطلقة والتصور الخاطئ لمفهوم المرأة وإطلاق العنان للشهوات دون أي قيود أو حدود من شأنها أن تخلق واقعا جديدا مغايرا للواقع العربي المحافظ الذي اعتاد عليه أبنائه منذ سنوات مضت (سامية قطوش، ص 55). وبهذا لم يعد للأمم الضعيفة مستقبل إلا ردة فعل تفرسه حركة العولمة بتياراتها المختلفة، وكأنه لم يعد بمقدور الأمة العربية بصفة خاصة التخطيط لمستقبلها، فلا تملك إلا حرية رد الفعل، أي القدرة على التخطيط لمواجهة التحديات وأصبح الذي يملك المعرفة

الشاملة وأدوات توزيعها والقدرة على استعمالها وتوظيفها في المنظومة التربوية يستطيع التحكم والسيطرة على العقول.

في هذا السياق، فإن تيار العولمة شديد وجارف بحيث أنه غطى العالم كله، بل وسيقضي على الثقافات الضعيفة وبالتالي فنحن مطالبون بأن نعد الأجيال الناشئة للمشاركة الفعالة في تيار العولمة على المستوى الفكري والسلوكي، وهذا لا يتأتى إلا بتطوير مناهجنا التربوية وجعلها تتماشى مع المتغيرات العالمية شريطة أن نقدر ذاتنا تقديرا موضوعيا، ونحافظ على قيمنا الثقافية وانتمائنا الحضاري وهو من الأدوار الجليلة التي يفترض على الأسرة القيام بها، وإشباع أبنائها بكل موروث أصيل لأنه يستلزم علينا أن نكسب الأبناء المناعة الاجتماعية والثقافية، خاصة لدى دول العالم الثالث التي من المفروض أن تتعامل مع معطيات النظام الجديد بحذر، من أجل الوصول إلى سلام اجتماعي ووحدة وطنية عن طريق التواصل الاجتماعي الإيجابي الذي لا يذيب شخصيتنا ويعترف أيضا بالآخر في إطار معقول.

إلا أنه للأسف الشديد يعيش شبابنا اليوم حالة من الاستلاب في هويته وفراغا روحيا رهيبا وذلك نتيجة سيطرة الإعلام الغربي على الساحة الفكرية، وما يصاحبه من ضعف المناعة الأخلاقية لديه وهو الأمر الذي يسهل من تغلغل الغزو الثقافي الذي يستهدف بالدرجة الأولى الشباب، معتمدا في ذلك على أسلوب التشكيك في المقدسات من خلال تشويهها وطمس معالمها ومحاولة زعزعة عقيدتهم وإضعاف إيمانهم، عن طريق إذكاء الصراعات الفكرية والأيدولوجية البعيدة كل البعد عما رسمته شريعتنا السمحاء، إضافة إلى ذلك فإنه كثيرا ما تثار الشبهات ونشر الأفكار الهدامة التي لا صلة لها بواقعنا، وخروجها عن مقاصد الدين وأهدافه الرامية إلى جعل الإنسان خليفة الله في الأرض بما ينجزه من معالم نافعة لنفسه ولغيره (مراد هوفمان، 2003).

إن الانفتاح الأعمى لكل ما هو غربي جعل الشباب مدفوعا تحت قوى التقليد إلى تبني الكثير من السلوكيات والقيم الغربية. فالانفتاح يروج لمشروع سيادة الفردية واستقلالها، مستهدفا في جوهره فئة الشباب التي تحاول العولمة تنميطها في اللغة والمأكّل والملبس والأذواق والتوجهات والتصرفات، وبالتالي فالعولمة تهدف إلى القضاء على الانتماءات الوطنية والأسرية والاجتماعية، وتحل محلها الانتماء إلى هويات افتراضية ورقمية، هذه المخاطر والتهديدات تهدف إلى سلب الأسرة مرجعيتها وانتماء أفرادها (مصطفى حجازي، 2015، ص 60).

وما زاد الطين بلة أن الثقافات الغربية تسعى بكل ما أتيت من قوة، إلى محاولة تجفيف منابع الفكرية وتهديم المصادر الحضارية للأمة عن طريق تسميم الأجواء المعرفية عبر نشر الرذيلة والدعاية لها من خلال مختلف المواقع الإباحية والقنوات المنتشرة في كل بقاع العالم، ولم يقتصر على هذا الحد، بل بلغ الأمر إلى التقليل من قيمة اللغة العربية والتهوين من شأنها واصفا إياها بالضعف والقصور وعجزها عن مواكبة العصر وتطوراتها.

وتظهر التأثيرات السلبية للعولمة على اللغة بشكل بارز في استعمال اللغة الهابطة واللغة العامية التي تزايدت بفعل العولمة من تداخل اللغات في بعضها البعض، بإحداث لغة جديدة غريبة بالجمع بين عدة كلمات تمثل عدة لغات (محمد زغو، 2010، ص 99).

فإذا كان الانفتاح الثقافي الكوني هو سمة العصر ولا فائدة ترجى من الانغلاق، فعلى الأسر العربية الاستفادة من هذا الانفتاح لإثراء الحياة الاجتماعية والفكرية للأسرة وأفرادها، مضيفا أنه لا بد للانفتاح أن يكون نشطا وفاعلا وليس منقادا ومنفعلا وبالتالي لا بد من تدبير وسائل التكيف النشط المشارك والمفيد (مصطفى حجازي، 2015).

لذلك فإن الأسرة في المجتمع العربي، مطالبة بلعب دور الوسيط الاجتماعي والثقافي الذي يحفظ توازن القوى بين التيار الجارف للعولمة والراهن الثقافي والاجتماعي، وذلك لا يتم إلا بتجديد قواها كاملة في معركة البحث عن البدائل التي تراكب بفضلها العصرية والتحديث، محافظة في الوقت نفسه على ثوابت الأمة وأصالتها، وقد تكون الأسرة أمام كل هذه التحديات الجديدة التي يعيشها المجتمع العربي، الأمل الأكبر في بناء فكر متجدد يساعد على التكيف مع أشكال ومعطيات الحياة العصرية وذلك من خلال التنشئة الاجتماعية في المحيط الأسري وتشجيع الأبناء بالقيم الثقافية والاجتماعية والدينية التي تحفظ مقومات الهوية الوطنية مع ترك المجال مفتوحا أمام أي تعديل يراعي خصوصياتنا (يحيى اليحياوي، 2002).

4- دور التربية الأسرية في الحفاظ على الهوية الثقافية

إن النسق الاجتماعي في ظل هذا التغير العالمي، يؤثر لا محالة في الأنساق الفرعية الأخرى ولعل الأسرة أكثر الأنساق تأثرا بذلك، فمن هذا المنطلق نسعى إلى فهم كيف أن الأسرة تتأثر بمختلف التغيرات الاجتماعية و"تجتهد" في التعامل معها خاصة وأن الفلسفة التربوية لا تنشأ من فراغ بل تستند إلى فلسفة اجتماعية غير ثابتة وغير نهائية فهي تتسم بالتنوع والمرونة وقد تضاعفت أهمية هذه الأمور في زمن العولمة، حيث ينبغي على التربية الأسرية أن تحقق ثلاث غايات في كل عصر وهي: *إكساب المعرفة* التكيف مع المجتمع *تنمية الذات* والقدرات الشخصية، وقد أضاف عصر المعلومات بعدا تربويا رابعا هو ضرورة إعداد إنسان العصر لمواجهة الحياة في ظل العولمة (نصر التهامي، 2011، ص17)

لقد أصبحت التربية تمثل تحديا كبيرا في هذا الزمن، فإما أن تبرهن الأسرة - كمؤسسة منتجة للأخلاق والقيم- على كفاءتها وتستمر في توريث المخزون الثقافي والتربوي لأبنائها مع مساهمة التطورات، وإما أن "تبتلع" ما يأتيها في قوالب جاهزة وغريبة عنها وبالتالي تنوب في قالب العولمة والاعترا ب.

ومن سلبات العولمة الثقافية على المستوى الأيديولوجي هيمنة النموذج الأمريكي على ثقافات الأمم، وذلك باستهداف الثقافات المحلية والإقليمية بالزوال باعتبار أن خطورة الغزو الثقافي التغريبي ذو الوجه القديم والجديد، لازال قائما وأشد شراسة ضد الهوية الثقافية، حيث أن أساس سلبات العولمة على الهوية الثقافية للشعوب والأفراد تكمن في ما قاله صامويل هنتجون: "أن الاعتقاد بضرورة تبني الشعوب غير الغربية لقيم ولمؤسسات ولحضارة غربية لهو أمر غير أخلاقي في نتائجه" (محمد بن سميحة، 2009).

على هذا الأساس فإنه لا يمكن دراسة العلاقات الأسرية (بما فيها من صحة وشنوذ) إلا بردها إلى سيرورات مختلف التغيرات الاجتماعية التي تعيشها المجتمعات، والمقصود من وراء هذا أن التغيرات الاجتماعية تفرز- كنتيجة منطقية- حالة من عدم الاستقرار على مستوى المعايير والقيم الاجتماعية الأمر الذي يعمل على تشجيع ظهور سلوكيات غير مألوفة تمس بالدرجة الأولى النسق الأسري في عمقه.

نجد على المستوى الروحي والمادي تفرض العولمة إستراتيجية جزئية للإنسان، فهي تريد مسخ ونزع الروح من الجسد بإبقاء الجانب المادي والجسدي للفرد، من خلال إخلال التوازن والتكامل في الشخصية فالعولمة الأمركة تنتج الإنسان المادي الحيواني بالقضاء على الجانب الروحي والنفسي والفكري وهذا بإعادة صياغة الإنسان من جديد وتغيير خلقته وتغيير مفاهيمه الفكرية (أسعد السمراني، 2002).

من هذا المنطلق نجد أنفسنا نعيش وضعية اغتراب عن كل ماله صلة بموروثنا الثقافي والحضاري لدرجة يمتد تأثير هذه الاختلافات، خاصة على مستوى الأجيال إلى إفراز أشكال كثيرة من عدم الالتزام إزاء القيم الاجتماعية المتفق عليها، لدرجة يمكن أن تولد حالة من القطيعة بين الأسرة والمجتمع من جهة وبين الأسرة وأفرادها من جهة أخرى، والحقيقة أن التحولات الاجتماعية قد مزقت وحدة الأسرة من خلال تأثيراتها على تكوينها وبنائها ونظام القيم فيها والذي يتحكم بدوره بالواجبات والأدوار داخلها، ولهذا فإن الأسرة تواجه موقفا صعبا، فالأساليب التقليدية للتفاعل داخل الأسرة لم تعد مناسبة مع التغيرات الحديثة، وكذلك فإن الأسرة لم تتكيف بعد مع الأساليب الحديثة فهي تواجه موقفا صعبا وتتمر بأزمة نتيجة لوقوعها فريسة للضغوط المحيطة بها.

وتظهر تأثيرات العولمة الثقافية على المستوى الإعلامي من خلال السيطرة على وسائل الإعلام المحركة للثقافة المعولمة والتي تهيمن عليها الدول التكنولوجية والمتفوقة عسكريا. فالعالم الفقير ليس له القدرة في التعامل مع هذه الوسائل ومواجهة الاكتساح الإعلامي الغربي مما يعني قصور العالم الفقير في حماية وتجديد هويته الثقافية (محمد زغو، 2010).

في نفس السياق، نجد أن الأبناء -من مراهقين وشباب- لهم المهارات اللازمة في مثل هذه التكنولوجيات بشكل يجعل بعض الأولياء يفقدون مرجعيتهم التربوية، على اعتبار أنهم يجدون الكثير من الصعوبات في التعامل معها بفعالية وكفاءة ولعل هذا ما أوضحه "مصطفى حجازي" (2010) في كتابه "علم النفس والعولمة"، حيث يوجد تغييرا للمرجعية التي تشكل تحولا حضاريا في علاقة الأجيال بعضها البعض، فالمراهق نايغة الأسرة في مجال الحاسوب والتعامل معه، إنه مرجعية الوالدين والأسرة وكل الكبار الذين يتلقون إنجازاته وقد أصبح الشباب هم المعلمون والمرشدون لذويهم... ومع تغير المرجعية بهذا الشكل تتغير قواعد اللعبة في العلاقة بين الأجيال حتى أصبحت قضية صراع الأجيال التقليدية شبه بائدة (مصطفى حجازي 2010).

في ضوء هذه الفكرة أكد محمد علي محمد أنه غالبا ما يخطئ الكبار في فهم مشكلات الشباب ويعتبرونها انحرافا أو اغترابا أو رفضا للنظام القيمي السائد، على اعتبار أن الأنماط السلوكية التي تعبر عن هذه الحالات هي أنماط خارجة عما اصطلح عليه المجتمع وبالأخص مجتمع الكبار من مواصفات متفق عليها (محمد علي محمد، 1987).

لذلك اعتبر علاء الدين كفاي "أن الأبناء في نموهم غالبا ما يضغطون على الأسرة مما يستوجب أن تغير من قواعدها ونظمها أو تعيد ترتيب علاقات أفرادها بعضهم ببعض وكثيرا ما يتحدى المراهقون قيم الأسرة وعاداتها وأعرافها علانية، ويسببون بذلك خلا في التوازن الأسري ويصبح الوضع يعاني من الخلل إلى أن يستطيع النسق الأسري استعادة توازنه" (علاء الدين كفاي، 1999، ص 110).

ولم تكتف العولمة بفرض طابعها الخاص على الثقافة، بل صنعت ثقافتها الخاصة وذلك كتعبير عن ثقافة الحالة الحضارية المعاشة حاليا، حيث تسعى ثقافة العولمة لفرض تنميط ثقافي كوني سوف تشكل الثقافة الإلكترونية فيه شبكة يتعاظم تأثيرها، وهي تعتمد ثقافة الصورة والبلاغة الإلكترونية التي تتيح فرصا للاتصال غير مسبوقة لكنها تحمل ضمنا خيارات ظاهرها هو التسلية والاستمتاع والتواصل، أما باطنها فهو الترويج لثقافة حسية تعتمد الصورة كلغة والحواس كأبجدية والسعي للإثارة على حساب تعطيل تام للمعايير العقلانية (مصطفى حجازي، 1988، ص 12).

من جهة أخرى، أوضح محمد زغو أن العولمة تفرض صياغة المناهج والبرامج التعليمية في المدارس والجامعات وفقا للتطور العالمي الديمقراطي في الدول المتطورة علميا وتكنولوجيا،

بحيث تكون تلك المناهج والبرامج موجهة من طرف الغرب وما يساير تطلعاته وتوجهاته، ويظهر ذلك في تصدير البرامج والمناهج المختلفة والتي تمس بالكيان الاجتماعي والثقافي للدولة... وبهذا يحدث التعارض بين الأجيال في الدولة الواحدة من التأطير والتوجيه والتعليم في فترة اعتماد الدولة على خصوصيتها في الأول واعتمادها على خصوصية البرامج المستوردة ثانياً ومنه يكون التناقض في المجتمع بين الجيل الكبير والجيل الصغير (محمد زغو، 2010، ص99).

إن كل هذه الأخطار لا تكون فاعلة إلا بمقدار تدني مناعة الأسر وأفرادها ذاتهم، فالخطر ليس خطراً إلا بمقدار ضعف وسائل مجابهته، وبالتالي فبمقدار متانة تكوين الأسرة وتمكينها تتوفر لها المناعة ضد هذه الأخطار، وهنا تتحول مقومات هذه الأخطار إلى إيجابيات تغني حياة الأسرة وتفتح أمامها فرص المزيد من النماء (أمانى قنديل، 2013) فإذا كان للعولمة أبعاداً حتمية لا سبيل للتخلص منها، فإن لها أبعاداً أخرى احتمالية قابلة للتدخل والتعديل، لذلك نجد في دلالة العولمة ازدواجية تتمثل في ما هو موضوعي كدور تقنيات المعلومات والإعلام والاتصال في تقريب أبعاد العالم، وهو أمر لا يمكن الاستغناء عنه، وما هو مشروع أيديولوجي وهو تنميط أحادي ثقافي انطلاقاً من مرجعية القطب الواحد المهيمن عالمياً، وهنا إذا أرادت الأمة العربية أن تحافظ على كيانها وهويتها العربية الإسلامية وتراثها الثقافي أن تجد لنفسها البدائل اللازمة .

5- أساليب مواجهة الأسرة لأخطار العولمة

إذا سلمنا أن العولمة أصبحت واقع قائم لا مفر منه بسبب ما يشهده العالم من تغيرات متلاحقة وسريعة في مجال الاتصال والتكنولوجيا، وباعتبار مجتمعنا الجزائري جزءاً لا يتجزأ من العالم العربي الذي يعيش تأثيرات العولمة وما ينجر عنها، فإن الخيار الذي نأخذ به هو التعامل مع معطيات العولمة بصورة جدية وواقعية، وأن نحاول أن نأخذ موقفاً ملائماً في هذا العالم دون أدنى تقريط في هويتنا وثوابتنا، ولن يكون هذا إلا من خلال الجهود التي تنظمها كل أجهزة الدولة ومؤسساتها، وعلى رأسها الأسرة التي هي مطالبة باتخاذ موقف اجتماعي ثقافي مدروس وواع ينتج عن وعي الأهل بضرورة تحصين الفكر والعقل والوجدان العربي من الفكر الثقافي العالمي.

نعم كل هذا يقع على عاتق الأسرة العربية -ومنها الجزائرية- في ضرورة الحفاظ على الهوية القومية وتنميتها بفاعلية وبوعي بحيث يكون الالتزام بتعاليم الإسلام والاعتزاز باللغة العربية وجعل التراث العربي جزءاً أصيلاً من الحياة اليومية داخل الأسرة وخارجها، حيث يلتزم به الجميع قولاً وفعلًا ويتخذون من هذا الالتزام وقواعده معايير أساسية لتقييم الثقافات الأجنبية الوافدة والتفاعل معها.

وعليه ينبغي على الأسرة الجزائرية تبني أسلوب حصانة جديدة يساعد الأبناء على التكيف مع التغير الاجتماعي، بشكل يصون مقومات الشخصية العربية الجزائرية والإسلامية، من خلال تطبيق الرقابة والضبط الاجتماعي الأسري، الذي لا بد أن يتبناه الأهل في مواجهة ظاهرة الاختراق الثقافي وانعكاساتها على سلوكيات الأفراد، مع العلم أن الضبط الاجتماعي عبارة عن قوة يستخدمها المجتمع بالطرق والمعايير التي يقرها ويفرضها على أفرادها في سلوكهم بمختلف أشكاله من أجل ضمان سلامة البنيان الاجتماعي والمحافظة على أوضاعه ونظمه وصيانتها من الانحراف وجعلهم يتمسكون بالقيم والأنظمة التعليمية المرغوب فيها والمقبولة لاستمرار نظام المجتمع، خاصة في ظل الفوارق الموجودة بين التربية التقليدية والتربية الحديثة فيكون ذلك من خلال إعادة تكييف سلوك الأفراد ومواقفهم بشكل يساير الأطر الثقافية والضوابط الاجتماعية التي تقبلها الجماعة.

ولا بد أن ينتبه الأولياء أيضا لضرورة المحافظة على التفاعل المستمر بين أعضاء الأسرة مهما كانت مصاعب الحياة اليومية التي تعيشها أسرنا اليوم، والتي أثرت على الوظيفة التربوية لأنه من شأن هذه الصعوبات المتزايدة يوما بعد يوم أن تقلل الزمن الذي يقضيه الآباء مع أبنائهم في الحياة الأسرية سواء داخل البيت من خلال ممارسة أنشطة مختلفة معا كالقراءة والتسليّة وممارسة بعض الأعمال جماعيا، أو خارجه لنزهة أو لقضاء حاجات الأسرة المختلفة وأداء الزيارات للأقارب أو غيرها من مظاهر الحياة الجماعية للأسرة، والتي تعتبر كلها فرصا ثمينة للتربية المباشرة وغير المباشرة من جهة وتحرير الأبناء من الأجهزة الإلكترونية من جهة أخرى. وقد يكون التفاعل الأسري بشكل آخر، كتوجيه النصائح والإرشادات أو الاعتماد على أسلوب الحوار في التعامل بين أفرادها وجعل التربية بالقدوة من أكثر الأساليب التربوية منهجا تطبيقيا من خلال المحافظة على القيام بالشعائر الدينية أمام الأبناء أو بصورة جماعية من صلاة وصيام وصدقة والمحافظة أيضا على الأخلاق الفاضلة في التعامل لتكون سلوكا يوميا يقتدي به الأبناء تدريجيا فيرسخ بذلك في أذهانهم ويصبح ممارسة عفوية وتلقائية.

هذا التفاعل هو الذي يمنح للعلاقات الأسرية روحها وشكلها، ومن خلاله تمرر الرسالة التربوية عندئذ يتعرف الابن على مشاغل والديه واهتمامات أسرته ويتعرف الأب هو كذلك على هموم أبنائه وعلاقاتهم الخارجية ومشاكلهم.

وبما أن الأسرة كانت ولا زالت تحتفظ بصداقتها في التأثير على الأبناء، فعلى سياسات الأنظمة العربية أن توليها الرعاية الكافية والدعم المادي والمعنوي حتى تحقق الدور المنشود، من خلال تضافر جهود كل مؤسساتها في اتجاه تصور وبناء نموذج أصيل في ظل التغير الاجتماعي ولن يكون هذا إلا من خلال وضع إستراتيجية شاملة هدفها مواجهة سلبات العولمة في مجال تربية الأبناء والاستفادة من إيجابياتها. هذه الإستراتيجية تراعي الواقع الذي يعيشه شباب اليوم من خلال توفير الأجواء الديمقراطية للأبناء وضرورة مشاركتهم في القرارات التي تخصهم والسماح لهم في التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم واتجاهاتهم، وكذلك العمل على تطوير النظام التعليمي والبحث العلمي وضرورة العمل على دراسة الوسائل والأساليب التي تساعد على نشر الثقافة التربوية والفكر العربي الإسلامي من خلال المؤسسات الثقافية والعلمية، فهي الأقدر على مواجهة أخطار وتحديات العولمة في جميع مجالاتها.

- الخاتمة

من خلال ما سبق، يتبين أن الرهان الوحيد أمام البلدان العربية في ظل ما تفرضه العولمة من تحديات -وفي زمن التخلف العربي- أن تتمكن من خلق مكانة لها ضمن المجتمع المعلوماتي، من خلال وضع رؤية فلسفية ذات بعد عالمي قادرة على التكيف والتفاعل والتعايش مع تيارات العولمة، وتأخذ بعين الاعتبار الخصوصيات التربوية والثقافية المحلية بثوابتها وماضيها من جهة ومتطلبات البناء الحضاري العالمي الذي يهدف إلى إزالة الحدود الزمانية والمكانية لمؤسسات التنشئة الاجتماعية من خلال فرض المناهج التي تخلق مجتمعا عالميا واحدا يحمل قيم الحضارة الغربية من جهة أخرى.

حقيقة لقد أنتج عصر العولمة تداخلا وتفاعلا بين المجتمعات المختلفة على مستوى العالم وولد تبادلا في الثقافات والأفكار حيث يتم التعارف والتفاهم والتعاون، لكن لا يمكن أن نغفل عن أخطارها على التربية. فالحركة الحرة بين الأفكار والثقافات لها أثر خطير على تربية الأطفال، لأن تربيتهم وهم في مقتبل العمر تقتضي تكوينهم على القيم الحميدة والأخلاق الطيبة والمبادئ التي لها

علاقة مباشرة بالهوية والتراث قبل الاطلاع على الأفكار والثقافات الأخرى، فهم لا يملكون بعد القاعدة التربوية التي تمكنهم من التمييز في الأفكار بين ما هو نافع وما هو ضار، فتداعيات العولمة خاصة منها العولمة الثقافية في غياب المناهضة التي تحمي الأجيال من التورط في عواقب الاغتراب والتهيه، لا تولد إلا أجيالا غريبة عن مجتمعاتها، بل أنها ستكون خطرا عليها لكونها أجيالا تسبح في فلك غير فلكها وتنتمي فكريا إلى ثقافة مغايرة لما تعيشه واقعا.

إن التفاعل بين المجتمعات لا يعني بالضرورة الانسجام الاجتماعي أو المساواة فالمجتمعات ليست على مستوى واحد في الثقافة والمعرفة والتقدم، وبالتالي سيتحول ذلك التفاعل إلى غزو ينتهي بالقضاء على خصوصيات الثقافات المحلية للمجتمعات الضعيفة.

وبما أن المرحلة الراهنة تقتضي مواكبة التطورات العلمية والتكنولوجية المتسارعة فقد أصبح على التربية العربية عموما والتربية الأسرية بصفة خاصة، أن تعيد النظر في مناهجها وطرقها وتستغل وسائل العولمة في تربية النشء وإعداد الفرد المتطور والقادر على التفاعل مع متطلبات العولمة بشخصية قوية وقيم ثابتة لينظر إلى العولمة باحثا عن ما يخدمه ويطور معارفه ويحسن ظروف حياته، ويكون عاملا مؤثرا من خلال نشر قيم مجتمعه وأفكارها ليستفيد منها غيره، تلك هي ملامح الأهداف الحضارية التي ينبغي للأمة أن تحققها في سعيها للتكيف مع عصر العولمة وما بعد الحداثة وهي: الوحدة القومية والأمن القومي والتنمية الشاملة وكذا الديمقراطية وتنمية الموارد البشرية والتعاون مع الشعوب بمحبة وسلام.

إن النتائج السلبية للعولمة ليست قدرا محتوما، فإمكان مجتمعاتنا أن تجعل التقدم في ظلها ممكنا إذا عقدت العزم على رفض القابلية للسيطرة وإذا توحدت التصورات والأفكار والممارسات حول تصور بناء وثري للهوية والتنمية والشرعية، فيمكن أن تفتح العولمة فرصا هائلة لتحرر الإنسانية " فالتدفق الحر للقيم والمنتجات والمعلومات والأفكار والمخترعات يقدم لكل فرد على مستوى الكرة الأرضية فرصا استثنائية للتقدم والازدهار المادي والنفسي" (غليون برهان، 1999، ص31).

على هذا الأساس، فإننا نقف أمام الكثير من التحديات وعلى جبهات كثيرة لا يمكننا أن نصمد طويلا إلا من خلال العودة إلى:

- المرجعية الحضارية للشعوب؛
- المرجعية التربوية للأسر؛
- المرجعية الأخلاقية للأفراد.

إنه عمل تنموي حضاري بعيد المدى من حيث أهدافه وشاق من حيث مساعيه يستثمر في إنسان الغد إلا أنه ضرورة من أجل البقاء لأننا في وضع من يكون أو لا يكون.

- قائمة المراجع

- غليون، برهان. (1999). ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، لبنان، بيروت: دار الفكر المعاصر.
- ربابعة، سمر محمد علي إسماعيل. (2018). العولمة وبعض انعكاساتها على تربية الأبناء، مجلة البحث العلمي في علوم التربية، 17(19)، جامعة عين الشمس، مصر، ص ص405-428.

• Tomlinson John. (1991). Cultural imperialism, The John Hopkins, University Press, Baltimore.

- Giddens Anthony (1990). Consequences of Modernity, Cambridge MA, polity press.
- حجازي، مصطفى. (2010). علم النفس والعولمة، المغرب: المركز العربي الثقافي.
- الجابري، محمد عابد. (1998). العولمة والهوية الثقافية، لبنان، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- قطوش، سامية. (2017). الأسرة في زمن العولمة، الجزائر: دار الخلدونية.
- حجازي، مصطفى. (2015). الأسرة وصحتها النفسية، المغرب: المركز العربي الثقافي.
- حمدان، محمد زياد. (د ت). الأسرة والمجتمع، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- الهروي، الهادي. (2013). الأسرة، المرأة والقيم، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق.
- الجولاني، فادية عمر. (1997). علم الاجتماع التربوي، الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب.
- بومخلوف، محمد وآخرون. (2008). واقع الأسرة الجزائرية: والتحديات التربوية في الوسط الحضري، ط1، الجزائر: دار الملكية للطباعة والنشر.
- غيث، محمد عاطف. (1989). قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- الخشاب، مصطفى. (1971). التغيير الاجتماعي، مصر: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.
- التهامي، نصر. (2011). كيف نربي أبنائنا في الزمن الحالي، الجزائر: دار المجدد للنشر والتوزيع.
- هوفمان، مراد. (2003). الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود، تعريب، عادل المعلم، يس إبراهيم، ط1، الرياض: مكتبة العبيكان.
- زغو، محمد. (2010). أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، 2(2)، جامعة حسينية بن بوعلي شلف، الجزائر، ص ص93-101.
- اليحيوي، يحيى. (2002). العولمة والتكنولوجيا والثقافة- مدخل إلى تكنولوجيا المعرفة- ط1 بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- بن سميثة، محمد. (2009). العولمة وأثرها على الثقافة الإسلامية في الجزائر، مجلة الثقافة الإسلامية، العدد 2، الجزائر.
- السمحراني، أسعد. (2002). ويلات العولمة على الدين واللغة والثقافة، ط1، الأردن: دار النفائس.
- محمد، علي محمد. (1987). الشباب والتغيير الاجتماعي، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- - كفاقي، علاء الدين. (1999). الإرشاد والعلاج النفسي الأسري: المنظور النسقي الاتصالي، ط1 القاهرة: دار الفكر العربي.
- حجازي، مصطفى. (1998). حصار الثقافة، لبنان، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- قنديل، أماني. (2013). المجتمع المدني العربي في مواجهة المخاطر الاجتماعية، القاهرة: الشبكة العربية للمنظمات الأهلية.